خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/١٠/٣٠

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في الخطبتين الماضيتين تكلمت عن الحياة البسيطة للنبي ﷺ وعن عيشه البسيط، وتكلمت عن بساطة طعامه وشرابه وطريقته في الأكل وأمور أخرى من هذا القبيل، واليوم أيضا سأتابع الموضوع نفسه، وسأحدثكم عن المزيد من معايير بساطته في العيش.

يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه عن ذلك في موضع:

كان كل فعل من أفعاله ﷺ يتسم بالبساطة وعدم التكلف، إن الذين رأوا الأثرياء والأغنياء في هذا العصر قد يظنون أن النبي ﷺ أيضا كان يأكل أطعمة فاخرة مثلهم، وكانت تمدّ أمامه مائدة ملكية دائما ولكنهم سيستغربون حين يعلمون أن الواقع كان على عكس ذلك تماما لأن النبي ﷺ كان أسوة كاملة في البساطة من ناحية، ومن ناحية ثانية كان أسوة في الحياة البسيطة أيضا للعالم كله. أي كان أسوة في كل مجال.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لابن أختها عروة: يا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ (كما بينت تفصيل ذلك في الخطبة الماضية) فَقُلْتُ يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ قَالَتْ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنْ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا. (صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها)

سبحان الله، كم كانت حياته ﷺ بسيطة إذ لم تُوقد النار إلى شهرين في بيوته ﷺ وعاش على التمر والماء فقط. على المسلمين (أي بعض الأغنياء منهم) أن يخجلوا بالنظر إلى هذه الأسوة لأنهم مصابون في هذه الأيام بمرض الأكل والشرب. ثم إن الذين هم أقل غنى هم أيضا يسعون جاهدين تقليدا لهم أن ينفقوا على الطعام ويفعلون. (فقد كتب المصلح الموعود رضي الله عنه في الخطبة) إذا بحثنا في الموضوع جيدا لوجدنا أن المسلمين ينفقون أموالهم على الأكل والشرب فقط ويرزحون تحت الديون. (في العصر الراهن أيضا أتلقى رسائل تفيد أن التركيز على الإنفاق كثيرا، وأن مستوى طعامهم ليس جيدا، وأنهم ينبغي أن يجدوا أفضل مع أن

الإنسان يجب أن يعيش وينفق بحسب دخله).. من الجدير بالذكر أيضا هنا أن النبي ﷺ كان من ناحية مثالا للحياة البسيطة ومن ناحية أخرى كان يكره الرهبانية، وإذا قُدِّم له ألذ الأطعمة وأفخرها تناوله أيضا ولم يحدث أن أنكر تناول الأطعمة الفاخرة من منطلق قتل النفس. وهذا هو الكمال الذي يجعله أفضل من الآخرين لأنه جاء للعالم كله ولم يأت لقوم معين أو فئة معينة، لذا كان من الضروري أن يكون كاملا في كل مزية. فإذا كان من ناحية حائزا على الكمال في الحياة البسيطة، فمن ناحية أخرى لم يكن يجتنب قط استخدام الأشياء الطيبة أيضا. (إلا أنه كان عموما يعيش حياة بسيطة حصرا، وكان يأكل ليعيش، وينال قوة للعمل بانتظام.)

وعن ذلك يقول حضرته أكثر: الآن انظروا إلى هذه الحياة بشمول، أن هذا الإنسان ملِك ويتيسر له كل شيء، وهو قادر على تناول أشهى الأطعمة ومدِّ أفخر الموائد، لكنه رغم قدرته يكتفي بتناول التمر والماء أحيانا، ويتناول خبز الشعير أحيانا، وأحيانا يأكل خبز طحين القمح غير المنخول، ولا تُمد أمامه مائدة كبيرة، ولا يقدم الطعام في الأطباق، بل يتناول الطعام البسيط على مائدة عادية، ورغم عيشه هذه الحياةَ البسيطة، ينجز الأعمال آلاف المرات أكثر من الذين يأكلون أفخر الأطعمة ويربُّون أجسامهم، لقد سجل النبي ﷺ في حياته من ناحية أسوة تناوُل ألذ الأطعمة وأشهاها أيضا ومن ناحية أخرى أقام أسوة بحياته البسيطة للأغنياء الذين تكون الغاية المنشودة لحياتهم هي أشهى الطعام وأفخر اللباس.

كما ذُكر كان النبي ﷺ يتناول طعاما جيدا أيضا، وعن ذلك هناك رواية:

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ أُمَيَّةَ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَحْتَزُّ[1] مِنْ كَتِفِ شَاةٍ فَدُعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَلْقَى السِّكِّينَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ. (صحيح البخاري)

كان ﷺ متوضئا سلفا، فلم يكن من الضروري أن يعيده.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"لم تمنع شريعة الإسلام الأكل بالقطع بالسكين (فمن العادة السائدة تناول الطعام بالسكين والشوكة) غير أنها منعت من التشديد على أمر أو فعل معين تكلُّفا (إذ يجب ألا يتكلف المرء وأن يكون بسيطا) حتى لا يتشبه المرء بهؤلاء القوم (لأن بعض الأقوام يأكلون بالسكين والشوكة حصرا)، وإلا فمن الثابت أن النبي ﷺ أكل اللحم بقطعه بالسكين، وقد فعل ذلك حتى لا يشق هذا الفعل على الأمة. إذًا، الأكل بهذه الطريقة جائز عند الضرورة الحقة، ولكن التقيد بها والتكلُّف والاستخفاف بطرق أخرى للأكل ممنوع، لأن الإنسان في هذه الحالة يعتاد على اتّباع الآخرين رويدا رويدا لدرجة أنه يترك الطهارة أيضا مثلهم. (فهناك أقوام لا يتطهرون وإذا اتبعتموهم وقلدتموهم في كل أمر، فستتركون الطهارة أيضا مع أن المسلمين قد أُمروا بالتطهر، وسيأتي وقت تتخلون عن الأمور البسيطة والأوامر التي تبدو صغيرة لكنها كبيرة، لذا يجب ألا

---

[1] يحتز : يقتطع.

تتكلفوا وإذا طرأت الحاجة فلا حرج في تناول الطعام بالسكين والشوكة أيضا). إنما المراد من "من تشبَّه بقوم فهو منهم" (أي حين تقلدون أقواما أخرى تكونون منهم) هو ألا يفعل المرء هذه الأعمال بالالتزام، وإلا لم يُمنع العمل بها في بعض الأحيان عند الضرورة الحقة. (ثم قال عليه السلام عن نفسه): فمثلا في بعض الأحيان أكون مشغولا جدا فأطلب، وأنا أكتب جالسا، أن يوضع الطعام على المائدة فآكل هناك (ولم يأكل الطعام على المائدة فحسب، بل قال) وأحيانا آكل جالسا على الحصير أو على السرير. ففي هذه الأمور يجب الاهتمام بالبساطة فقط".

معنى التشبه في هذا الحديث هو أن يتّبع المرء خَطًّا واحدا فقط، وإلا فالبساطة في ديننا شيء تُغبطنا عليها الأقوام الأخرى ويتمنَّون وجودَها في دينهم. وقد مدحها الإنجليز وأخذوا كثيرا من مبادئهم عن العرب وتبنَّوها ولكنهم مضطرون الآن بسبب اتباع التقاليد ولا يستطيعون تركها.

نجد في رواية زواج النبي ﷺ ووليمته:

قال أنس رضي الله عنه أَعْتَقَ النَّبِيُّ ﷺ السيدة صفية وَتَزَوَّجَهَا فَقَالَ لَهُ سيدنا ثَابِتٌ يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ نَفْسَهَا، أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنْ اللَّيْلِ فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا فَقَالَ: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ". وَبَسَطَ نِطَعًا[٢] فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ[٣] قَالَ قَالَ فَحَاسُوا حَيْسًا، أي خلطوها وعجنوها وهرسوها، فأكلها كل الضيوف الجالسين هناك، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. (صحيح البخاري)

وكما ذكرت في الخطبة الماضية، كان النبي ﷺ يقبل الهدية مهما كانت بسيطة. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ". أي لو أُهديتْ لي أي هدية بإخلاص لقبلتُها مهما كانت بسيطة.

لقد كتب حضرة زين العابدين ولي الله شاه في شرح هذا الحديث الوارد في صحيح البخاري: إن ما يعنيه النبي ﷺ من قوله هذا أني لو دعيتُ إلى طعام مهما كان بسيطا، أو أهديتْ لي هدية مهما كانت ضئيلة، لقبلتُها ولم أرفضها. وقد نقل الطبراني رواية عن أم حكيم الخزاعية رضي الله عنها قالت: قلتُ للنبي ﷺ: يا رسول الله، تكرهُ رَدَّ اللطفِ (أي الهدية)؟ قال: "ما أقبحَه، لو دُعيتُ إلى كراعٍ أو ظلفٍ[٤] لقبلتُه".

لقد عد القرآن الكريم قبول شيء بسيط أيضا من حميد الأخلاق، لأن من الأخلاق الطيبة أن يقبل المرء حتى أبسط هدية أيضا. يبدو أن أم حكيم الخزاعية رضي الله عنها أرادت تقديم هدية للنبي ﷺ، ولكنها

---

[٢] النطع : بساط من جلد.

[٣] السويق : طعام يصنع من دقيق القمح أو الشعير بخلطه بالسمن والعسل.

[٤] الظِلف : هو للبقر والشاة والظبي بمنزلة الحافر للدابة والخف للبعير.

كانت مترددة مخافةَ ألا تكون تلك الهدية جديرة بمكانة النبي ﷺ العالية. وقد تبين الطريق بقول النبي ﷺ بأنه لا ينبغي للمُهْدِي أو المتلقي أن يحتقر الهدية ظنًّا منه أنها لا تليق بمكانة المتلقي.

وفي قول النبي ﷺ هذا علاج للإحساس بالدونية وبالتعالي كليهما، لأن هذا الإحساس لعنة تؤدي إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات، حيث يقال هذه من طبقة عليا وهذا من طبقة دنيا، وهذا التقسيم الطبقي يشتّت شمل المجتمع ويقضي على الوحدة. يجب القضاء على مثل هذه الفروق بقول النبي ﷺ هذا: "تهادوا تحابّوا"، أي ازدادوا حبا فيما بينكم بتبادل الهدايا.

وكان النبي ﷺ يقبل الدعوة من كل إنسان. عَن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ الله ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ خُبْزًا مِنْ شَعِيرٍ، وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ[٥] وَقَدِيدٌ[٦]، قَالَ أَنَسٌ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ حَوَالَيِ الْقَصْعَةِ، فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ.

وقال حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه بهذا الصدد: قال صحابي: مرة قُدّمَ لرسول الله ﷺ على المائدة لحم مطبوخ مع قرعة، فكان ﷺ يبحث بيده عن قطع القرع ويأكلها لأنه كان يحبه جدا. كما جاءت أيضا على النبي ﷺ أيام لم يتيسر له فيها الطعام. فجاهلٌ الذي يقول لماذا أكل محمد رسول الله ﷺ لحمًا طيبا، وجاهلٌ الذي يقول لماذا شرب محمد رسول الله ﷺ شرابا من العسل الطيب، وجاهلٌ الذي يقول لماذا أكل محمد رسول الله ﷺ أطعمة شهية، ذلك لأن هذا لا يرى أن محمدًا رسول الله ﷺ قد قاسى الجوع والفاقة أيضا، حتى إنه عصب بطنه من شدة الجوع والضعف أيضًا. لقد مرت عليه أيام جاءت فيها امرأة فقيرة بيتَه تسأل، وتقول عائشة رضي الله عنها: لم يكن في بيتنا في ذلك اليوم شيء نأكله، وبعد البحث الكثير في البيت وُجدت تمرة واحدة فقط، فأعطيت المرأة إياها، فوضعتها المرأة في فمها وجعلتها شِقَّينِ، وكان معها طفلتان، فأعطت إحداهما شقا، والأخرى شقا آخر. فتأثرت عائشة رضي الله عنها من تصرفها جدًّا، وذكرتْ ذلك لرسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، كانت المرأة جائعة جدًّا، ولم يكن في بيتنا شيء للأكل، ولم أجد إلا تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، ولكنها يا رسول الله لم تأكلها، بل كسرتها نصفين فأعطت إحداهما نصفا، والأخرى النصف الآخر. فقال ﷺ: "يا عائشة، مَن كان في بيته ابنتان، فأحسنَ تربيتهما أوجب الله له الجنة".

باختصار، لقد مرت على رسول الله ﷺ أيام اضطر فيها للجوع والفاقة، وعندها لم يقل محمد رسول الله ﷺ لله أبدًا: لماذا أصابني الجوع والفاقة؟ (بينما نجد في هذه الأيام أن الناس يرفعون عقيرتهم لو وجدوا

---

[٥] الدباء : القرع.

[٦] القديد : اللحم المقطع والمملح المجفف في الشمس.

الطعام أقل قليلا) فالإنسان الذي لا يقول عند الجوع "لماذا أصابني الجوع" يستحقّ أن يُعطى كلَّ نعمة من نعم الدنيا، لأنه راضٍ بكل حال، ولا يطلب من سيده شيئًا وكأنه حق له، كلا، بل إذا أعطاه سيده المعطي شيئًا أخذه واستعمله، وإذا لم يعطِه لم يجرِ على لسانه أي شكوى.

عندما يقرأ المرء أو يسمع أو يبين سيرة النبي ﷺ يجد في كل واقعة من وقائع سيرته درسا من التربية والحكمة والموعظة، وهذا ما نجده في هذه الرواية أيضا. قال حضرة المصلح الموعود ﷺ في سياق بيان سيرة النبي ﷺ في "ديباجة تفسير القرآن":

كان النبي ﷺ يتوخى البساطة في طعامه وشرابه دائما، فلم يشْكُ قط مِن زيادة الملح في الطعام أو قلّته، أو إذا لم يُعَدّ الطعام جيدا فلم يكن يبدي امتعاضا، بل كان يتناول مثل هذا الطعام أيضا قدر الإمكان ليجنّب الشخصَ الذي أعدَّه الحرَجَ، أما إذا لم يستطع تناوله مطلقا فكان يكفّ يده عنه من دون أن يُشعِر غيره بأنه قد تأذى من ذلك الطعام. وكان إذا بدأ الطعام جلس متجها إليه، وكان يقول لا أحب ذلك التصرف الدال على الكبرياء والخيلاء حيث يأكل البعض مستندين كأنهم في غنى عن الطعام. وقد سبق أن ذكرت هذا الحديث في الخطبة الماضية أيضا. وإذا جاءه طعام، أشرك فيه صحابته الحاضرين. ذات مرة جاءه تمر، فنظر وقدّر عدد أصحابه الذين كانوا معه، وعلم أنه سيكون في نصيب كل واحد منهم سبع تمرات، (كان مجلسه ﷺ بسيطا جدا وخال من التكلف) فقسم التمر بينهم بالتساوي، وأعطى كل واحد منهم سبع تمرات.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ لم يأكل الطعام حتى الشبع قط ولا حتى مِن خبز شعير.

ومر ذات يوم على قوم فوجد أنهم قد وضعوا بين أيديهم شاة مشويّة في وليمة، وعندما رأوا الرسول ﷺ دعوه إليها، فأبى. ولم يكن ذلك كراهيةً منه للّحم المشوي، بل لأنه لم يكن يرضَى بالتكلف حيث كان يستمتع هؤلاء القوم بوليمة من لحم شاة مشوية على مرأى من الناس حيث يمر بهم الفقراء الجياع ويرونهم يأكلون الشواء. وقد ورد في روايات أخرى أن النبي ﷺ كان يأكل اللحم المشوي.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبِع آلُ محمد منذ قَدِمَ المدينةَ مِن طعام البُرِّ[٧] ثلاثَ ليال تباعًا حتى قُبضَ."

إن كثيرين منا يأكلون أطيب الطعام، ولو أنهم فكروا عندئذ في الفقراء وأخرجوا عندها الصدقة لهم وأخرجوا بعض المال لمساعدتهم لتَمكّنّا من سد جوع كثير من الفقراء. لا شك أن العائشين في هذه البلدان هم أفضل حالا من الذين يعيشون في البلاد الفقيرة، لذا علينا مساعدتهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى رسول الله ﷺ بيتَ أم هانئ بنتِ أبي طالب يوم فتح مكة، وكان جائعا، فقال: "هل عندك من طعام نأكله؟". فَقَالَتْ: لَيْسَ عِنْدِي إِلَّا كِسَرٌ يَابِسَةٌ، وَإِنِّي لَأَسْتَحِي أَنْ

---

[٧] طعام البُر : الخبز المصنوع من دقيق القمح.

أُقَدِّمَهَا إِلَيْكَ، فَقَالَ: "هَلُمِّي بِهِنَّ"، فَكَسَّرَهُنَّ فِي مَاءٍ، وَجَاءَتْ بِمِلْحٍ، فَقَالَ: "هَلْ مِنْ إِدَامٍ؟"، فَقَالَتْ: مَا عِنْدِي يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، فَقَالَ: "هَلُمِّيْهِ" فَصَبَّهُ عَلَى طَعَامِهِ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ حَمِدَ اللهَ ﷻ ثُمَّ قَالَ: "نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ يَا أُمَّ هَانِئٍ، لَا يُقْفِرُ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ".

وفي رواية أنه ﷺ قال: "الخلّ إدام الأنبياء".

يروي عُبَيْدُ الله بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ جَدَّتِهِ سَلْمَى، أَنَّ الْحَسَنَ ابْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما، وَابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، وَابْنَ جَعْفَرٍ رضي الله عنهما أَتَوْهَا فَقَالُوا: اصْنَعِي طَعَامًا مِمَّا كَانَ يُعْجِبُ رَسُولَ الله ﷺ وَيُحْسِنُ أَكْلَهُ. فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ لَا نَشْتَهِيهِ الْيَوْمَ قَالَ: بَلَى اصْنَعِيهِ لَنَا. قَالَ: فَقَامَتْ فَأَخَذَتْ شَيْئًا مِنَ الشَّعِيْرِ فَطَحَنَتْهُ، ثُمَّ جَعَلَتْهُ فِي قِدْرٍ، وَصَبَّتْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ زَيْتٍ وَدَقَّتِ الْفُلْفُلَ وَالتَّوَابِلَ فَقَرَّبَتْهُ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ: هَذَا مِمَّا كَانَ يُعْجِبُ رَسُولَ الله ﷺ وَيُحْسِنُ أَكْلَهُ.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسُبُّ أَحَدًا، وَلَا يُطْوَى لَهُ ثَوْبٌ.

إذن، كان النبي ﷺ يتحلى بالأخلاق الفاضلة على أية حال، ولكن ما ينبغي بيانه هنا هو أن عائشة لم تر ثوبه ﷺ مطويًّا، فقد كانت حياته في غاية البساطة؛ إذ لم يكن لديه سوى لباس واحد ولم يملك لباسا آخر يمكن أن يُطوى ويُحتفظ به للمستقبل. وفي بعض الأحيان عندما كان غسل الملابس ضروريا كان ﷺ يخرج مرتديا اللباس نفسه وكانت آثار البلل مشهودة عليه قبل أن يجف. وهذا مثال من أمثلة بساطته وتواضعه ﷺ، لا يستطيع أيّ صاحب ثروة ومكانة أن يُظهر مثله، ولم يُبد أحد مثل هذا النموذج.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ رَأَى عُمَرُ عُطَارِدًا التَّمِيْمِيَّ يُقِيْمُ بِالسُّوقِ حُلَّةَ سِيَرَاءَ[٨] – وَكَانَ رَجُلاً يَغْشَى الْمُلُوْكَ وَيُصِيْبُ مِنْهُمْ – فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَأَيْتُ عُطَارِدًا يُقِيْمُ فِي السُّوْقِ حُلَّةَ سِيَرَاءَ فَلَوِ اشْتَرَيْتَهَا فَلَبِسْتَهَا لِوُفُوْدِ الْعَرَبِ إِذَا قَدِمُوْا عَلَيْكَ – وَأَظُنُّهُ قَالَ وَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ – فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيْرَ فِي الدُّنْيَا مَنْ لَا خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذٰلِكَ أُتِيَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بِحُلَلٍ سِيَرَاءَ فَبَعَثَ إِلٰى عُمَرَ بِحُلَّةٍ وَبَعَثَ إِلٰى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بِحُلَّةٍ وَأَعْطَى عَلِيَّ بْنَ أَبِيْ طَالِبٍ حُلَّةً وَقَالَ شَقِّقْهَا خُمُرًا بَيْنَ نِسَائِكَ . قَالَ فَجَاءَ عُمَرُ بِحُلَّتِهِ يَحْمِلُهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِهٰذِهِ وَقَدْ قُلْتَ بِالْأَمْسِ فِيْ حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ (ما معناه أن لبسه لا يجوز للرجل) فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ بِهَا إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا، وَلٰكِنِّيْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ لِتُصِيْبَ بِهَا. (أي لتُلبس زوجتك) وَأَمَّا أُسَامَةُ فَرَاحَ فِي حُلَّتِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَظَرًا عَرَفَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَنْكَرَ مَا صَنَعَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا تَنْظُرُ إِلَيَّ فَأَنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِهَا فَقَالَ: "إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا، وَلٰكِنِّيْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ لِتُشَقِّقَهَا خُمُرًا بَيْنَ نِسَائِكَ".

---

[٨] حُلَّةَ سِيَرَاءَ : بردة يخالطها حرير كالسُّيُور.

أقول: لقد شرحت في الخطبة الماضية أيضا أن لبس الحرير علامة الجاه والعظمة أو علامة الزينة الخاصة بالنساء فقط، وهذا النوع من الزينة ليس جائزا للرجال، كما لا يجوز اللباس الذي يخلق الاستكبار في صاحبه.

عَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها، أَنَّ عُطَارِدَ بْنَ حَاجِبٍ، جَاءَ بِثَوْبٍ دِيبَاجٍ كَسَاهُ إِيَّاهُ كِسْرَى، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا أَشْتَرِيهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، فَقَالَ: "إِنَّمَا يَلْبَسُهُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ".

لقد قال سيدنا المصلح الموعود ﷺ في بيان هذه الحلة الثمينة وشرائها للنبي ﷺ:

كان رسول الله ﷺ يُحبّ البساطة في اللباس إلى درجة أنني أشعر بالخجل اليوم أيضا حين أقرأ ظروفه. صحيح أن الظروف قد تغيّرت في زماننا، وأننا مضطرون إلى بعض التغييرات بحسب الظروف، ومع ذلك إن حبنا لرسول الله ﷺ يجعلنا نشعر بالخجل رغم تغيّر الظروف.

يروي عمر ﷺ أنه أعجبه مرة جُبّة جاء بها رجل ليبيعها، فأخذها إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، اشترِها لتلبسها في العيد وغيره فتكون حسنة. يقول عمر: فلما سمع النبي ﷺ كلامي احمرّ وجهه، فكأنه كره ذلك جدًّا، وقال: "هذه الأشياء تليق بقيصر وكسرى يا عمر، لم يجعلها الله لنا".

فبساطة رسول الله ﷺ في اللباس ستبقى بساطة عظيمة جدا ولو طرحنا منها ظروف الزمن الحاضر. (أي لقد تغير الزمن ولا توجد ألبسة بسيطة كانت موجودة في ذلك الزمن، فمع ذلك البساطة التي تحلى بها النبي ﷺ كانت بساطة عظيمة) صحيح أن القماش كان قليلًا في ذلك الزمن فكان غاليًا، أما اليوم فهو رخيص جدًّا. والثياب التي كان يلبسها الأثرياء في ذلك الزمان أصبحت اليوم متوفرة للفقراء. اللباس الذي يلبسه الفقراء اليوم كان يُعدّ في ذلك الزمان علامة على الغنى. فالفارق الكبير بين الزمنين موجود بلا شك، لكن حتى بعد إهمال هذا الفارق تبقى حياة النبي ﷺ بسيطة جدًّا، والحقيقة أنه بدون هذه البساطة لا يمكن أن يتحقق نظام تقدم الدنيا. (لأنه ﷺ كان مكلَّفا بإصلاح العالم كله، لذا كان لا بد أن يقدم أمثل أسوة على أية حال. ولكنه ﷺ لم يمنع الرجال من ارتداء لباس حسن ما سوى الحرير. فقد ورد في رواية:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ". قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[٩] وَغَمْطُ النَّاسِ[١٠]".

إذن، إذا كنتم مرتدين لباسا حسنا فارتدوه بلا تردد، ولكن لا تحتقروا الناس ولا تنكروا الحق.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا فَقَالَتْ: قُبِضَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هٰذَيْنِ.

---

[٩] بطر الحق : دفعه وإنكاره.

[١٠] الغمط : الاحتقار والتعالي.

وقد ورد مزيد من التوضيح لهذا الحديث في رواية أخرى: عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كِسَاءً مُلَبَّدًا[11] وَقَالَتْ فِي هَذَا نُزِعَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ.

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: "اِلْبَسُوْا الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ وَكَفِّنُوْا فِيْهَا مَوْتَاكُمْ".

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ لِيْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: "إِذَا أَرَدْتِ اللُّحُوْقَ بِيْ فَلْيَكْفِكِ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ وَإِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ وَلَا تَسْتَخْلِقِيْ ثَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيْهِ[12]. وبذلك عوّد النبي ﷺ أهله أيضا على البساطة.

وقد قدّم ﷺ هذه النصيحة وهذه الأسوة من أجل الفقراء، كما سعى إلى أن يجعل أهله قدوة في ذلك، حتى لا يصاب أي فقير بالشعور بالدونية، كما نصح الأغنياء أيضا بأن لبس الثياب رياءً وتظاهراً لهو مما يُبعدكم عن ذكر الآخرة. لذلك إذا لبستم ثيابا حسنة فلتبقَ الآخرة دائما نصب أعينكم، وليكن الاهتمام بالفقراء دائما في بالكم.

ولقد ورد النهي عن الكبر في اللباس أيضا فقد حثّ ﷺ على اللباس البسيط حتى لا يدخل في نفس الإنسان أي كبر، ولا يرى نفسه شيئا كبيرًا بعد ارتداء لباس فاخر.

وقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا[13]".

ليس في إطالة الإزار حرج في حد ذاتها؛ فقد قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: "إنك لست ممن يجرون ثيابهم خيلاء، لأنك لا تتكبر، وإنما الوعيد لمن يلبسون الثياب الطويلة ويجرونها تكبرا".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِيْ فِيْ بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ[14] فِيْهَا إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ أَلْهَبَ فِيْهِ نَارًا".

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ، أَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى يَضَعَهُ مَتَى وَضَعَهُ".

عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيْكَرِبَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ (أي أن البطن وعاء، فكلما ملأته زاد فساده. قال ﷺ:) بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ. (أي كلوا من الطعام ما يكفي للحفاظ على صحتكم) فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ (أي إذا وُجد طعام يكفي لملء البطن فاملأ ثلثا منه بالطعام) وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِه".

---

[11] ملبد: مرقع.

[12] لا تَسْتَخْلِقِي ثوبًا حتى ترقعيه : أي لا تتركي ثوبًا ولا تُلقيه حتَّى تَخِيطي عليه رُقْعة، ثم تَلبسيه مرةً أخرى.

[13] البَطر : الطُّغْيان عند النّعْمة وطُولِ الْغِنَى.

[14] يتجلجل : يغوص ويضطرب ويسيخ في الأرض.

فإذا نصح ﷺ بالبساطة في الطعام، فقد بيّن آداب الأكل أيضا، ومنها أن تأكل دون أن تشبع، ولا تأكل حتى يصعب عليك التنفس. وهذا هو عين المشورة التي يعطيها الأطباء اليوم لمن يعانون من مشاكل في المعدة، وهي المشورة نفسها التي أعطاها لنا النبي ﷺ قبل ألف وأربعمائة سنة.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: أُتِيَ رَسُوْلُ الله ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ لَبَنٌ وَعَسَلٌ، فَقَالَ: "شَرْبَتَيْنِ فِيْ شَرْبَةٍ؟ وَأُدُمَيْنِ فِي قَدَحٍ؟ لَا حَاجَةَ لِيْ بِهِ، أَمَا إِنِّي لَا أَزْعُمُ أَنَّهُ حَرَامٌ، أَكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَنِيَ اللهُ عَنْ فُضُوْلِ الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَتَوَاضَعُ لِلهِ، فَمَنْ تَوَاضَعَ لِلهِ رَفَعَهُ اللهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ، وَمَنِ اقْتَصَدَ أَغْنَاهُ اللهُ، وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ أَحَبَّهُ اللهُ".

قال حضرة المصلح الموعود ﷺ: بسبب الحياة البسيطة يتعوّد الناس على تحمّل المشاق، فلا يشعرون بأي ضيق حتى في أيام الشدة. كما نرى اليوم أن ما يعتبره أهل أوروبا مصاعب هو عندنا من شؤون الحياة اليومية، (يذكر حضرته حالة زمنه، إلا أننا نرى الحالة السائدة نفسها اليوم أيضا) وما يظنونه آفات ومصائب هو عندنا راحة ونعيم، ولذلك لا نشعر بتلك المشاق أصلًا. (اذهبوا إلى دول العالم الثالث، واذهبوا إلى الدول الفقيرة، فستجدون أنهم لا يعرفون كثيرًا من الأمور، أما نحن فإذا حدث أمر بسيط هنا بدأنا بإثارة الضجة)

يقول حضرته: ماذا يقول هؤلاء الناس اليوم؟ إنما يقولون: لقد نزلت مصيبة عظيمة، لا نجد ثيابًا جيدة نلبسها. لكن لا يمكن أن يكون هذا سببًا لأي قلق عند المؤمن. قبل أيام قليلة قال لي بعض الناس: أصبح الحصول على الملابس صعبًا. فقلت: وماذا في ذلك؟ إن المؤمن إذا وجد لباسًا جديدًا لبسه، وإذا لم يوجد فلا بأس، لأنه يرقّع الثياب القديمة ويكتفي بها. ثم قلت: إن ثياب رسول الله ﷺ وأصحابه كانت تُرقَّع. أفنحن أفضل منهم حتى لا نرقّع ثيابنا؟ بل كان في زمن رسول الله ﷺ أناس قليلو الثياب جدًّا، بحيث إذا وُجد لديهم قميص فلم يوجد سروال، وإن وُجد سروال فلم يوجد قميص.

ذكر حضرته هنا واقعة وقال: كان في زمن رسول الله ﷺ غلام قد حفظ جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم. فطلب بعض الناس إمامًا يصلّي بهم في مكان ما، فعيّنه رسول الله ﷺ إمامًا. (لقد ذكر حضرته مثال ذلك الزمن بحيث إذا كان لدى أحد قميص فلم يكن عنده سروال، ولكن في ظل الأوضاع المشابهة اليوم بسبب ظروف العالم الاقتصادية نسمع ضجيجًا يرتفع كثيرًا بأن هذا غير متوفر، وذاك لا يوجد. وإذا بدأت حرب عالمية فالله أعلم إلى أي مدى ستسوء الأحوال أكثر. على كل حال، ينبغي أن نضع الوضع المذكور دائمًا نصب أعيننا. فكنتُ بصدد سرد مثال الغلام الذي أرسله ﷺ وقال له: اذهب وصلِّ بالناس، فقد عيّنه ﷺ إمامًا لهم.) وكانت الصفوف الأمامية للرجال والخلفية للنساء في زمن الرسول ﷺ وهو معمول به في هذا الزمن أيضا. فلما رفع الغلام رأسه من السجود وقال: الله أكبر، رفعت امرأة رأسها قبله، وكان قميص

الغلام قصيرًا ولم يكن لابسًا السروال، فوقعت عينها عليه فرأت أن عورته منكشفة –وقد حدث هذا الأمر في بدايات الإسلام– فصاحت: يا قوم استروا عورة إمامكم! فجمع الناس تبرعات واشتروا له إزارًا.

يقول حضرته: أفتظنون أن كرامة هذا الغلام نقصت لأنه لم يكن لديه إزار؟ بل كانت كرامته أكثر بكثير من كرامة الأغنياء والعظماء الذين نراهم اليوم في الدنيا، بل هذا الغلام عند الله أكرم من كل ثريّ كان أقل منه تقوى. لا نقول حتى لأكبر ثريّ اليوم "رضي الله عنه"، ولا نقول حتى ولو أُجبرنا على ذلك، أما عند ذكر اسم هذا الغلام فنحن جميعًا مضطرون أن نقول "رضي الله عنه". لو شَتَم أحدٌ أكبرَ ملك اليوم لما تألم قلب المؤمن، لكن لو شَتَم أحد هذا الغلام لجُرح قلب المؤمن، لأنه يعلم أنه كان صحابي حبيبنا. ولذلك فكرامته عندنا أعظم من كرامة أي ملك في الدنيا.

يقول حضرته: فأجبت هؤلاء الأحباب: لا تأسفوا على عدم توفر الثياب، بل ادعوا الله تعالى فقط ألا تنقص الغلة في بلدنا. إذا بقيت الغلة ميسورة للناس، فنستطيع أن نقول بحسب نمط الحياة الذي يدعو إليه الإسلام بأنه لم تنزل علينا أية آفة. الخبز شيء ضروري لبقاء حياة الإنسان، فإذا لم ينقص فلا يمكن أن تلحق الإنسان أية مشقة. أما سائر الأشياء فهي زوائد، وبالتالي فلا بأس إن وُجدت أو لم توجد.

هناك خبز في إنجلترا يسمّي خبزًا أسود اليوم (يتكلم حضرته في زمن كان زمن الحرب العالمية الثانية) ويصنع بخلط بعض الحبوب مع أشياء أخرى، (ويصبح لونه أسود) ويثيرون الضجة بأنهم لا يجدون إلا هذا الخبز الأسود.

يقول حضرته: بينما عندنا يأكل الناس خبز حبوب الدُّخْن الخالص ولا يشعرون أبدًا أنهم في مشقة.

في بلاد الغرب وأوروبا والبلدان المتقدمة، إذا خالط الدقيقَ شيءٌ يسير من الغش، فإن الناس يثيرون ضجةً ويقولون: حلّت بنا كارثة! لقد هلكنا! ولم نعد نجد إلا الخبز الأسود لنأكله. إذن، فما ذكره كان عن زمن الحرب العالمية.

ثم يقول ﷺ: أما في بلادنا، فهناك عشرات الملايين من الناس الذين يأكلون الدخن والذرة الرفيعة. بل إن الناس في بعض المناطق يأكلون خبزًا مصنوعًا من المَدْهَل، وهو نوع من الحبوب حبّاته صغيرة. وقد قال المصلح الموعود ﷺ: لقد أكلتُ بنفسي خبزًا مصنوعًا من المَدْهَل؛ وهو شديد الصلابة، وينبت هذا النبات أحيانًا عَرَضًا، وكان الناس يأكلونه في أوقات المجاعة.

ومع ذلك، فإن الناس عندنا لا يثيرون ضجةً ولا يشتكون من أن أكل الدخن أو الذرة الرفيعة أو المَدْهَل قد جلب عليهم مشقةً كبيرة. أما أهل أوروبا، فما زالوا حتى اليوم يأكلون طعامًا أفضل مما نأكل، ومع ذلك يثيرون ضجةً قائلين إن مصيبةً شديدةً قد حلّت بهم.

وإنما يعانون هذه المشقة لأنهم لم يعملوا بتعاليم الإسلام. فلو عملوا بها، لجعلوا خبزهم في غاية البساطة، وجعلوا لباسهم في غاية البساطة، ولما شعروا بأي مشقة. بل الحقيقة أن الحرب نفسها ما كانت لتقع؛ لأن بعض الأمم تريد الاستيلاء على أموال غيرها.

إن الأوضاع لا تزال على حالها حتى اليوم. فالحروب تدور من أجل الاستيلاء على أموال الآخرين واحتلال أراضيهم. وكما قلت مرارًا من قبل، فإن الظروف المؤدية إلى تصاعد الحرب واتساع نطاقها آخذة في التفاقم والتزايد. وإذا اتسعت رقعة الحرب أكثر، فإن أوروبا والعالم بأسره سيمران بمرحلة صعبة من حيث توفر الغذاء.

لقد ذكر المصلح الموعود ﷺ الهند في ذلك الوقت وضرب بها مثالًا، ولكن الحال نفسه موجود أيضًا في أفريقيا وبعض البلدان الأقل تقدمًا، حيث يكتفي الناس بالغذاء البسيط، بل إنهم يشعرون بسعادة كبيرة إذا توفر لهم حتى هذا الغذاء البسيط. فهؤلاء الناس سيتمكنون من تحمل ظروف الحرب، أما أوروبا وهذه البلدان المتقدمة فلن تستطيع تحملها، وستسبب لهم هذه الأوضاع قلقًا واضطرابًا شديدين.

لذلك، ينبغي لنا أيضًا أن نواصل تقييم أوضاعنا، وأن ننمّي في أنفسنا صفة القناعة، وأن نحاول أن نعيش حياة بسيطة. وينبغي أن نجعل قدوة النبي ﷺ وأسوة حياته نصب أعيننا، وأن نستحضر نصائحه وإرشاداته دائمًا.

فإذا تيسّر لنا تناول الطعام الجيد، فلا مانع من أن نأكله، وإذا تيسّر لنا اللباس الجيد، فلا مانع من أن نلبسه، ولكن الاعتماد على هذه الأمور، وإثارة الضجة والصياح وكأننا قد هلكنا إذا لم تتوفر لنا، أمر خاطئ.

وعلى كل حال، ينبغي لنا أيضًا أن ندعو الله تعالى أن يحفظ العالم من هذه الكوارث، وأن يجنّبه السقوط في هاوية الدمار بسبب الكبرياء والأنانية. فهذه الأوضاع، إذا استمرت على حالها، فإن وقوع حرب عالمية سيكون أمرًا حتميًا، وسيكون دمارهم حتميًا أيضًا.

وبدلًا من الاستيلاء على أموال الآخرين وأراضيهم، ينبغي لهؤلاء أن يعملوا على خدمة شعوبهم.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا أيضًا للاستمرار في فعل الصالحات والثبات عليها.

*****